

الهدى النبوي في التعامل مع الطاعون PROPHETIC GUIDANCE IN DEALING WITH THE PLAGUE

Anis Pattanaprichawong
Princess of Naradhiwas University
anis_10104@yahoo.com

ملخص البحث: تناول البحث أثر الهدى النبوي في تعامله مع جائحة كورونا كوفيد-19 ، وهذه الأخيرة نجمت عنها آثار وأبعاد نفسية وصحية واجتماعية معقدة أصابت البشرية قاطبة وتسببت في حصد مئات الأرواح والأنفس، ليأتي البحث ليميط اللثام على ما كان يغفل عنه الكثيرون حول جدارة الهدى النبوي في التصدي للجائحة ومكافحتها والوقاية منها، ليقدم للبشرية وعلم الأوبئة والطب الحديث أنجع الحلول التي أثبتتها العلم التجريبي بالخيرية والتفاضل لاحتوائها على تعليمات صحية وقائية ساهمت بشكل ملحوظ في مكافحة هذه الجائحة، من أهمها الحجر الصحي والنظافة الشخصية ووسائلها، إضافة إلى تدابير أخرى ، إذ يهدف البحث إلى تحقيق غايات وأغراض صحية للحفاظ على سلامة البشرية ومجتمعاتها عن طريق تدابير وقائية وصحية، معتمداً في ذلك على المنهج الوصفي والتحليلي والاستقرائي ، فتوصل إلى ضرورة الالتزام بفكرة الحجر الصحي والالتزام بتدابير النظافة الشخصية والتحرُّز من الرذاذ التنفسي الذي يُعدُّ أخطر طرق العدوى ، كما توصل إلى أن تعامل الهدى النبوي في مواجهة جائحة كورونا -19 تعامل وقائي وليس علاجي.

الكلمات المفتاحية : الهدى النبوي ، الطاعون ، جائحة كورونا كوفيد-19

Abstract: *The research dealt with the impact of the Prophet's guidance in dealing with the Corona Covid-19 pandemic, and the latter resulted in complex psychological, health and social effects and dimensions that affected all humanity and caused the harvest of hundreds of lives and souls. To present to humanity, epidemiology and modern medicine the most effective solutions that have been proven by experimental science in charity and differential because they contain preventive health instructions that have contributed significantly to combating this pandemic, the most important of which are quarantine, personal hygiene and its means, in addition to other measures, as the research aims to achieve Health goals and objectives to preserve the safety of humanity and its communities through preventive and sanitary measures, relying on the descriptive, analytical and inductive approach, so it came to the necessity of adhering to the idea of quarantine, commitment to measures of personal hygiene, and avoidance of respiratory droplets, which are considered the most dangerous methods of infection.*

The Prophet in the face of the COVID-19 pandemic is a preventive, not a curative, treatment.

Keyword: *Prophetic guidance, the plague, the Corona Covid-19 pandemic*

تمهيد

تعريف الطاعون:

الطاعون لغة: جاء في لسان العرب أنه: المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء فتفسد له الأمزجة والأبدان. (لسان العرب، مادة (طعن)).

وجاء في المعجم الوسيط: داءٌ وَرَمِيٌّ وبائي سببه مكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان.(المعجم الوسيط، (طعن)).

ويؤيده ما ورد في التعريف الاصطلاحي الذي ذكره النووي: الطاعون: قروح تخرج في الجسد فتكون في الأباط أو المرافق أو الأيدي أو الأصابع وسائر البدن، ويكون معه ورم وألم شديد، وتخرج تلك القروح مع لهيب ويسود ما حواليه أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء.(صحيح مسلم بشرح النووي (204/14)

ويؤيد ما ذهب إليه النووي الحديث الذي روي عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: ” غدة كغدة البعير يخرج في المراق والإبط.“ أخرجه أحمد (145/6)

ويرى ابن القيم أن بين الوباء والطاعون عموم وخصوص؛ فكل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعون، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون؛ فإنه واحد منها.

وهو ما ذكره الخليل بن أحمد فقال: الوباء: الطاعون، وهو أيضاً كل مَرَضٍ عامٍّ، تقول: أصاب أهل الكورة العام وباء شديد. وأرضٌ وبئة، إذا كثر مَرَضُهَا، وقد استوبأَتْها وقد وُيُوتَ تَوْبُؤُ وِبَاءَةً، إذا كَثُرَتْ أمراضها.(زاد المعاد 38/4)

القدوم على بلد انتشر فيه الطاعون والخروج منه:

يرى جمهور العلماء منع القدوم على بلد الطاعون ومنع الخروج منه فراراً من ذلك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: ” الطاعون آية الرجز ابتلى الله عز وجل به أناساً من عباده، فإذا سمعتم به فلا تدخلوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه.“ (أخرجه مسلم (1738/4)

وأخرج مسلم من حديث عامر بن سعد أن رجلاً سأل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن الطاعون، فقال أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنا أخبرك عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ” هو عذاب أو رجز أرسله الله على طائفة من بني إسرائيل أو ناس كانوا قبلكم، فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوها عليه، وإذا دخلها عليكم فلا تخرجوا منها فراراً..“ (أخرجه مسلم (1738/4)

وأخرج أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: قلت: يا رسول الله فما الطاعون؟ قال: غدة كغدة الإبل، المقيم فيها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف.“ (أخرجه أحمد (145/6)

قال ابن القيم: وفي المنع من الدخول إلى الأرض التي قد وقع بها الطاعون عدة حكم: إحداها: تجنب الأسباب المؤذية، والبعد منها.

الثانية: الأخذ بالعافية التي هي مادة المعاش والمعاد.

الثالثة: أن لا يستنشقوا الهواء الذي قد عفن وفسد فيصيبهم المرض.

الرابعة: أن لا يجاوروا المرضى الذين قد مرضوا بذلك، فيحصل لهم بمجاورتهم من جنس أمراضهم.

الخامسة: حماية النفوس عن الطيرة والعدوى؛ فإنها تتأثر بهما، فإن الطيرة على من تطير بها، وبالجملة ففي النهي عن الدخول في أرضه الأمر بالحذر والحماية، والنهي عن التعرض لأسباب التلف، وفي النهي عن

الفرار منه الأمر بالتوكل والتسليم والتفويض، فالأول: تأديب وتعليم، والثاني تفويض وتسليم (زاد المعاد (44/4 - 45).

— قال النووي: والصحيح ما قدمناه من النهي عن القدوم عليه والفرار منه لظاهر الأحاديث الصحيحة. قال العلماء: وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم: ” لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا.“ صحيح مسلم بشرح النووي (205/14).

الحكمة من منع الخروج من البلد الذي فيه الطاعون:

— لأن الطاعون في الغالب يكون عاماً في البلد الذي يقع به فإذا وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن بها، فلا يفيد الفرار، لأن المفسدة إذا تعينت — حتى لا يقع الانفكاك عنها — كان الفرار عبثاً فلا يليق بالعاقل.

— ومنها: أن الناس لو تواردوا على الخروج لصار من عجز عنه — بالمرض المذكور أو بغيره — ضائع المصلحة لفقد من يتعهده حياً وميتاً.

— وأيضاً فلو شرع الخروج فخرج الأقوياء لكان في ذلك كسر قلوب الضعفاء، وقد قالوا: إن حكمة الوعيد في الفرار من الزحف ما فيه من كسر قلب من لم يفر وإدخال الرعب عليه بخذلانه.

— ومنها: حمل النفوس على الثقة بالله، والتوكل عليه، والصبر على أفضيته والرضا بها (فتح الباري (189/10).

— ومن الحكم: الحرص على عدم انتشار العدوى في البلاد غير الموبوءة.

ذكر ابن الأثير في الكامل في التاريخ أنه حين أصاب المسلمين طاعون عمواس، خرج بهم عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى الجبال، وقسمهم إلى مجموعات، ومنع اختلاطها ببعض وظلت المجموعات في الجبال فترة من الزمن، حتى استشهد المصابون جميعاً، وعاد بالباقي إلى المدن.

والمنع من دخول المناطق الموبوءة بالطاعون والخروج منها هو ما يسمى في عصرنا الحالي: ” الحجر الصحي“، بحيث يمتنع انتقال المرض بالعدوى من الشخص المريض إلى السليم.

أجر الصبر على الطاعون:

— جاء في بعض الأحاديث استواء شهيد الطاعون وشهيد المعركة فقد أخرج أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه ” يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون، فيقول أصحاب الطاعون: نحن الشهداء، فيقال:

انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دماً وريحها كريح المسك فهم شهداء، فيجدونهم كذلك.“ (أخرجه أحمد (185/4)

وأخرج البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون، فأخبرها النبي الله أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء فجعله الله رحمة للمؤمنين فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتبه الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد. (أخرجه البخاري

(192/10)

ويُفهم من سياق هذا الحديث أن حصول أجر الشهادة لمن يموت بالطاعون مقيد بما يلي:

أ – أن يمكث صابراً غير منزوع بالمكان الذي يقع به الطاعون فلا يخرج فراراً منه.

ب – أن يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

فلو مكث وهو قلق أو نادى على عدم الخروج ظاناً أنه لو خرج لما وقع به أصلاً ورأساً، وأنه بإقامته يقع به، فهذا لا يحصل له أجر الشهيد ولو مات بالطاعون، هذا الذي يقتضيه مفهوم هذا الحديث.

كما اقتضى منطوقه أنه من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد وإن لم يميت بالطاعون.

والمراد بشهادة الميت بالطاعون أنه يكون له في الآخرة ثواب الشهيد، وأما في الدنيا فيغسل ويصلى عليه

حكم الخوف من العدوى:

– الخوف من غير الله تعالى لا يكون حراماً إن كان غير مانع من فعل واجب أو ترك محرم. وكان مما جرت العادة بأنه سبب للخوف كالخوف من الأسود والحيات، والعقارب والظلمة.. ومن ذلك الخوف من أرض الوباء؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعتم بالطاعون في الأرض فلا تدخلوها." أخرجه البخاري

(179/10)، ومسلم (1738/4)

قال المناوي: ومن ذلك الخوف من المجذوم على أجسامنا من الأمراض والأسقام وفي الحديث: "فر من المجذوم فرارك من الأسد" فصوص النفوس والأجسام والمنافع والأعضاء والأموال والأعراض عن الأسباب المفسدة واجب.

– ومما يستدل به في ذلك عن جابر بن عبد الله: أنه كان في وفد ثقيف رجلٌ مجذوم، جاء ليبياع.. فأرسل إليه

النبي صلى الله عليه وسلم: "ارجع فقد بايعناك" (رواه مسلم) (2231)

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يُوردنَ ممرض على مصح" (رواه مسلم

5374)

– وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على اتخاذ أسباب الوقاية من العدوى، ومنها الحديث الصحيح قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم: " غطوا الإناء وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء

ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء" (رواه مسلم 2221)

ويستدل من هذا الحديث وجوب أخذ الحذر حين ينزل الوباء بثتى الأسباب المعينة عليه: مثل تغطية الأواني

والأطعمة المكشوفة، وحفظها في الثلاجات، وأخذ المطاعيم الوقائية، والتداوي، ولبس الكمادات الواقية،

والعناية بالنظافة الشخصية، وغسل الخضار والفواكه، والطهي الجيد للطعام، وغلي ماء الشرب، والحجر

الصحي على المصابين.

الهدى النبوي في دفع الوباء :

ورد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دعا برفع الوباء عن المدينة المنورة : واستدل بذلك العلماء على جواز

الدعاء برفع الوباء أو دفعه ، كما أن التحصين بالرقى والأدعية والأذكار الشرعية من هدى النبي صلى الله

عليه وسلم ؛ فقد كان يكثر من الاستعاذة بالله من البرص ، والجنون ، والجذام ، ومن سيء الأسقام) .

وقد حفلت السنة النبوية المطهرة بأحاديث صحيحة كثيرة تحت المسلم على الإتيان بما فيها من أدعية وأذكار

تقال من أجل وقاية قائلها من الضرر ، والشور ، وهي شاملة بمعانيها العامة للوقاية من الإصابة بالأمراض

والأوبئة المختلفة ، ومنها عن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (من قال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم - ثلاث مرات - ؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ، ومن قالها حين يصبح - ثلاث مرات - ؛ لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسي) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ما بقيت من عقرب لدغتي البارحة ، قال : (أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ؛ لم تضرك) .

وعن عبد الله بن خبيب - رضي الله عنه - قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليصلي لنا ، فأدركناه فقال : (أصليتم ؟) فلم أقل شيئاً ، فقال : (قل) ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : (قل) ، فلم أقل شيئاً ، ثم قال : (قل) ، فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل (قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات ؛ تكفيك من كل شيء) .

من هنا ؛ فإن من التداوي بالرقى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعلمهم في رقي الحمى ، ومن الأوجاع كلها : " باسم الله الكبير ، أعوذ بالله العظيم من كل عرق نفار ، ومن شر حر النار "

وقال عليّ - رضي الله عنه - : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أتى مريضاً أو أتى به إليه ؛ قال : " اذهب إليّ ، رب الناس ، اشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً "

وقالت عائشة - رضي الله عنها - : " كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث "

ففي المستدرک : عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " الدعاء سلاح المؤمن "

فلسفة الهدى النبوي في التعامل مع الأوبئة :

إن فلسفة الإسلام في التعامل مع الأمراض والأوبئة تقوم على أسس متعددة : عقديّة ، وشرعية ، وعرفية . وقد سبقت هذه الفلسفة في تطبيق النشرة الوقائية والعلاجية كل الفلسفات والنظم ؛ ففي الوقت الذي كان يعتقد فيه الجاهليون أن الأمراض والأوبئة إنما تقوم بها الأرواح الشريرة لإيذاء البشر ، جاء الإسلام داعياً إلى صدق اللجوء إلى الله ، والأخذ بالأسباب الدنيوية المشروعة ، وأخذ الحيطة والحذر في التعامل مع كل ما من شأنه أن يؤدي إلى إيذاء الإنسان ؛ ووضع - كذلك - الخارطة التي يسير عليها المسلم إذا ما أصيب بمرض ، أو نزل بالناس وباء عام ، وهذه أهم بنودها :

أولاً : أرشد الإسلام إلى طلب الدواء ، واستفراغ الوسع حين الأخذ بالأسباب المشروعة ؛ دفعاً للمرض ، ومنعاً من انتشار الوباء ؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " تداووا فإن الله - عز وجل - لم يضع داء إلا وضع له دواء ، غير داء واحد : الهرم " (رواه أبو داود)

ثانياً : رغب الإسلام في الصبر والتعاون حين مواجهة التحديات ، وحث على الإيجابية والعمل على تجاوز العقبات ؛ فقال – صلى الله عليه وسلم – : ” مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ”

ثالثاً : علمنا الإسلام أن كل ما يجري في الكون إنما يجري بقدر الله تعالى ، وألا كاشف للضرر أو مخفف للألم إلا هو سبحانه ؛ فكان من دعاء سيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للمريض : ” اللهم رب الناس أذهب الباس ، اشفه وأنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً ”

رابعاً : حثنا – صلى الله عليه وسلم – على مقابلة قضاء الله بالرضا ، واحتساب الأجر عند الله تعالى ؛ لتسكن النفس ، ويطمئن القلب ، وتهذب الروح ، وترضى عن الله تعالى وعن قضائه ، وأخبرنا أن العبد المؤمن مثاب في كل أحواله ، بالشكر عند النعمة ، والصبر عند المصيبة ؛ وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها ”

التدابير الوقائية في الهدي النبوي لمنع انتشار العدوى :

أرشدنا الإسلام إلى اتباع إجراءات السلامة ، واتخاذ تدابير الوقاية ؛ منعاً من الإصابة بمرض أو انتشار وباء ؛ وهذه أهم الإرشادات :

أولاً : تجنب المخالطة للصيقة بأي شخص تظهر عليه أعراض نزلات البرد أو الأنفلونزا ، وعلى من أمس بشيء من هذه الأعراض أن يتجنب الاختلاط بالناس في أماكن التجمعات كالمدارس والجامعات والأسواق ووسائل المواصلات ؛ لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ” لا يوردن ممرض على مصح ”

ثانياً : تنظيف اليدين باستمرار ، والحرص على نظافة الأدوات والمعدات ؛ فقد جعل النبي – صلى الله عليه وسلم – النظافة نصف الإيمان ، فقال : ” الطهور شطر الإيمان ”

ثالثاً : عند السعال أو العطس تغطي الأنف والوجه بمنديل أو بثنية مرفق الذراع ؛ فمن هديه – صلى الله عليه وسلم – أنه كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وخفض بها صوته ؛ فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – : ” أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا عطس غطى وجهه بيده أو بثوبه وخفض بها صوته ”

رابعاً : تجنب البصق في أماكن مرور الناس وجلوهم ؛ فقد وصف النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا التصرف بالخطيئة ؛ لما فيه من إيذاء الناس ، ونشر الأمراض ، فقال : ” البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ”

خامساً : طهي الوجبات التي تحتوي على لحوم جيداً ، وعدم ترك أواني الطعام والشراب مكشوفة بعد استخدامها ؛ فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ” خمروا الأنية – أي غطوها – ، وأجفوا – أي اغلقوا – الأبواب ، وأطفئوا المصابيح ؛ فإن الفويسقة – أي الفأرة – ربما جرت الفتيلة فأحرقت البيت ”

سادساً : عدم النفث في الطعام أو الشراب أو أنيتهما ؛ فقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ” إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء ”

سابعاً : تجنب الشرب من فم السقاء إذا كان يشارك الإنسان فيه غيره ؛ فقد ” نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الشرب من فم القربة أو السقاء ”

ثامناً : على العاملين في مجال صناعة الأطعمة وبيعها أن يهتموا بالنظافة ؛ فصحة الناس أمانة سيسألهم الله عنها ؛ وقد نفى النبي – صلى الله عليه وسلم – كمال الإيمان عن من خان الأمانة فقال : ” لا إيمان لمن لا أمانة له ”

وقال صلى الله عليه وسلم : ” ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة ”

خاتمة البحث :

أنا نجد في التشريعات الإسلامية ما يكون وقايةً وحمايةً وعلاجاً للكثير من الجوائح والكوارث التي قد تصيب البشرية ، والتي من خلالها تظهر حكمة هذا الدين ومناسبته لفطرة الإنسان وصلاحه ، وما يقع في ثنايا هذا الكون من أحداث مختلفة .

في الوقت الذي نجد فيه الهدي النبوي الشريف لم يترك أمراً فيه خير للإنسان إلا وحث عليه ورغب فيه ، ولا شراً إلا نفر عنه ، وحذر منه ، ومن ذلك : الطهارة البدنية والمعنوية ؛ حتى كان من أول ما نزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – من القرآن الكريم – الحث على الطهارة في قوله تعالى : **وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ** (سورة المدثر : 4) .

فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن الكريم.
- 2 - زاد المعاد، لابن قِيم الجوزية محمّد بن أبي بكر (ت 751)، تحقيق عبد القادر عرفان، نشر دار الفكر، بيروت 1415.
- 3 - شرح صحيح مسلم، للنووي يحيى بن شرف الدين الدمشقي (ت 676)، تحقيق صدقي جميل العطار، نشر دار الفكر، بيروت 1415.
- 4 - صحيح البخاري، لمحمّد بن إسماعيل البخاري (ت 256)، نشر المكتبة الثقافية، بيروت.
- 5 - صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261)، نشر دار الجيل، بيروت.
- 6 - فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت 852)، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمّد فؤاد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت 1410.
- 7 - لسان العرب، لابن منظور محمّد بن مكرم (ت 711)، تحقيق علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت 1408.